رابطة العالم الإسلامي

الأمـانـة الـعـامـة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

التعصب المذهبي والتحزب الطائفي

إعـداد

الدكتور مصطفى تسيريتش

المفتي العام السابق في البوسنة والهرسك

مقدم إلى

المؤتمر الإسلامي العالمي

مكافحة الإرهاب

الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود

مكة المكرمة

٣ – ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ – ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهَدي هَدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

المقدمة الأولى:

إن التعصب والتوسع في باب التكفير؛ أذاق الأمة الويلاتِ ردحاً من الزمان، وقد أطلَّ برأسه في هذه العصور المتأخرة معاوداً الكَرَّة مرة أخرى في ثوب جديد، وتحت راية جديدة أخطر من سابقاتها؛ لأنه يلبس ثوبَ السُّنّة والسلفية تارة، ويتوارى تحت عباءة علماء السلفية تارة أخرى، فيلتقط أحدُهم الكلماتِ من بين السطور ويُركِّب عليها لوازمَ تنصر منهجه الذي اختاره بهواه، ليبرر أنه ما خرج عن علماء الأمة في شيء، وتارة يبحث عن قولٍ شاردٍ لأحد الأئمة والعلماء من هنا أو هناك، ينصر به عقيدته ويتعصب لمذهبه، فتأتي الأحكام المترتبة على حكم التكفير تباعاً، سواء بالقتل أو التفجير أو ما شابه ذلك.

قال أحد العلماء: «سوء التفكير يؤدي إلى التكفير، والتكفير يَسوق إلى التفجير».

دماء تُسفك ولا نعرف لماذا، وأعراضٌ مسلمة تُنتهك ولا نعرف لماذا، وأموال تُسرق ويُستولى عليها ولا يَعرف أصحابها لماذا، والمسلمون تتلاعب

بهم عقولُ أهل الكفر والطغيان من الشرق والغرب؛ سواء عن طريقٍ مباشرٍ أو غير مباشر، تحت مسميات مختلفة كالإسلام، والجهاد، وتحرير الأرض، وأصبح الحليم في هذا الزمان حيرانًا جرَّاء ما يُظهره المسلمون من انحلالٍ وتخلُّفٍ في الفكر، وحبٍّ للشهوات والملذات، ونجد أن الآلة التي تُهدَم بها الأمةُ اليوم، هي التعصب في التفكير؛ والتسرع في إصدار أحكام التكفير.

من أجل ذلك أردتُ أن أُنبه على خطورة الأمر؛ وعلى أن الإسلام بريء من كل ما يفعله هؤلاء من التعصب المذهبي والتحزب الطائفي، وأن الإسلام أعلى وأرقى من هذا كله، وللأسف فكثير من الدعاة وطلبة العلم وقعوا تحت تأثير الإرهاب الفكري الذي ينشره دعاة التكفير، فمن لم يقل بقولهم فهو مرجئ، حتى وإن كان القول مختلَفًا فيه بين الأمة، ومنهم من وقع تحت خوف غضب شيخٍ في بلدٍ يساعده بمالٍ فلا يقول إلا بقوله.

والمؤسف أن الأعداء الذين يمتلكون وسائل الإعلام، لا ينشرون بين الناس وأممهم إلا فكر هؤلاء، ليقولوا لأممهم العمياء: هذا هو الإسلام؛ تكفير وقتل وتفجير وترويع للآمنين وهَتكٌ للأعراض وسلْبٌ للأموال ونشرٌ للفساد، فيتصور هؤلاء أن الإسلام دينُ الهمجية والتخلف، لا دين الرقيِّ والتحضر والأخلاق الحسنة والسلوك القويم، دين العفة والطهارة، دين العفو والتسامح، دين العقيدة الصحيحة، دين الأمن والاطمئنان.

المقدمة الثانية:

مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، يتعرض الإسلام للاعتداء من الخارج والداخل، أما الاعتداء الخارجي فسببه الجهل برسالة الإسلام والأحكام المسبقة عنه، وأما الاعتداء الداخلي فسببه التجاهل المتعمد للتاريخ، فإن المهاجمين الخارجيين يعترفون للإسلام بفضله الكبير على الثقافة والحضارة العالمية في الماضي، لكنهم لا يقبلون بأن يكون للإسلام دورُه الحقيقي في الحاضر والمستقبل، وإن المهاجمين للإسلام من الداخل يستندون إلى الماضي دون معرفةٍ حقيقية للحاضر، ودون إحساسٍ حقيقي استشرافي بالمستقبل، فوقع الإسلام ضحيةً للطرفين، فبات من الضروري إيجادُ المخرج من هذا الطريق المسدود والانطلاق على طريق الإسلام المستقيم، طريق الوسط أو الوسطية الذي حدده القرآن: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فالوسطية هي النهوض للدفاع عن الإسلام في وجه الاتهامات الخارجية والإخفاقات الداخلية، ولا ينبغي التقليل من خطورة الاعتداءات الخارجية، لكن الأخطر بكثير منها على الإسلام: الإخفاقات الداخلية في إبراز الإسلام وتقديمه للعالم بالطريقة المُثلى، وهذا ما يدركه اليومَ كلُّ من يتمتع بالوعي والحس العالي بالمسؤولية في العالم الإسلامي، لذا نجدهم يؤيدون بقوةٍ فكرةَ النهوض للدفاع عن الإسلام ضد الأحكام المسبقة الخارجية؛ وإساءات الاستغلال الداخلية، وشهدت السنوات الأخيرة إقامةَ الكثير من المؤتمرات عن وسطية الإسلام، وتفاعلت عدة دول ومنظمات إسلامية مع هذه المسألة بواقعية، فعملت على تطوير مفهوم الوسطية وتنمية تطبيقه العملي، ليس فقط من الناحية الدينية والتوجيهية، بل ومن الناحية الأخلاقية الإسلامية، فتم

تأسيس العديد من المراكز التي تتجمع فيها العقول المسلمة المعتبرة؛ متخذةً من مفهوم الوسطية منطلقًا ووسيلةً للدفاع عن مبادئ الإسلام الأساس في الدين والأخلاق - بالحجة والبرهان- ضد الاعتداءات الخارجية وإساءات الاستخدام الداخلية.

وإن الدفاع الفكري عن الدين فرع من فروع الدين الأصيلة، ويخطئ من يعتقد أن الدفاع الفكري عن الدين أمر مضى وانتهى، فالحاجة إلى الدفاع الفكري عن الإسلام اليومَ أكبر بكثير من أي وقت مضى، وخاصة بسبب أولئك الذين يقدِّمون الإسلام للعالم بأسلوبٍ مُعوَجٍّ، سواء بأقوالهم أو بتصرفاتهم، ولا يختلف اثنان على ضرورة احترام آراء الجميع، ولكن ما لا يمكن قبولُه هو السكوت على الآراء المنحرفة حول القيم الأساس للدين والأخلاق، خاصة إذا كانت تشجع على الكراهية وتُروج للعنف، فالوسطية هي المنهج الإسلامي الذي لا تزول الحاجة إليه مهما تغيرت الأزمان واختلفت الأماكن، ويستند منهج الوسطية هذا إلى المقومات التالية:

أولاً: أنها استمرار للدين القويم وما نزل من الحق في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وتقوم على مبدأ استمرارية الرسالة، لأن محمداً ﷺ خاتم رسل الله، جاء مصدقًا لما بين يديه، أي أن العالم لم يبدأ معه، بل إنه واصَل السير على نفس النهج الذي سار عليه كل الأنبياء والمرسلين؛ عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

ثانيًا: أنها أصل من أصول الإسلام الأساس، تعطي الناس جميعًا الحق بمعرفة الحقيقة، فلا يجوز حرمان أحد من حقه في النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، إن كان يطلب ذلك بصدقٍ وحريةِ اختيار: فـ«لا إكراه في الدين» مبدأ أساس من مبادئ الوسطية.

ثالثًا: أنها أسلوبٌ جامعٌ يجمع المسلمين، في كل زمان ومكان، بِناءً على المبدأ الوارد في حديث رسول الله ﷺ: «**خير الناس أنفعهم للناس**»، لذا ينبغي على المسلمين أينما كانوا - وخاصة الذين اختاروا أوروبا مكانًا للعيش- أن يتعرفوا على مفهوم الوسطية ويتخذوه أسلوبًا لاندماجهم في المجتمعات التي يُعَامَلون فيها على أنهم أقليات.

رابعًا: أنها مفهوم يقضي بتجنب الإفراط والتفريط، فالإفراط يؤدي إلى العزلة، والتفريط يؤدي إلى الذوبان والانصهار. لذا يجب على المسلم أن يتبع الطريق المستقيم، وهو طريق الوسطية، الطريق الذي لا يعرف إقصاء الغير، ولا الذوبان التام وفقدان الهوية.

خامسًا: أنها تَواصل لإخماد نيران التحريض على الكراهية والتعصب الديني والعنف.

سادسًا: أنها دعوة للعيش المشترك والتسامح، على مبدأ الحوار والاحترام المبادل.

سابعًا: أنها طريق الإسلام للنجاح في هذه الدنيا والفلاح في الآخرة.

التعصب المذهبي:

التعصب لغةً: أن يدعو رجل إلى نصرةِ عُصبته والتألُّبِ معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقيل: العصبي هو من يغضب لعُصبته ويحامي عنهم، والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه: نصرناه.

والتعصب اصطلاحاً: شعور يجعل الإنسان يرى نفسه على حق ويرى الآخرين على باطل، ويَظهر في صورة ممارسات ومواقفَ تحتقر الآخرَ؛ ولا تعترف بحقوقه وإنسانيته.

أنواع التعصب: له أنواع وأشكال مختلفة، كالتعصب الدينى أو الطائفى، والتعصب العِرقى أو القومى أو القَبلى، والتعصب الفكري، ويهمنا منه التعصب المذهبي ومظاهره وأضراره.

مظاهر التعصب المذهبي:

١- تحريم ما أحل الله بدافع أخذ الحيطة والحذر دون مستند شرعى.

٢- التسرع في تكفير الناس بمجرد وقوعهم في أعمال الكفر.

٣- عدم العذر بالجهل في الدين.

٤- تبديع الناس وتفسيقهم بمجرد الظن والهوى.

٥- التشدد في مسائلَ وقع الخلافُ فيها؛ والإنكار على المخالف بتبديعه.

٦- رمْيُ العالِم أو الداعية بمجرد زلة تقع منه؛ فلا يُسمع منه؛ ولا يُقرأ له؛ ولا يثُنى عليه.

أضرار التعصب:

١- لا يمكن للمتعصب أن يرى الواقع على حقيقته؛ لأنه يرى ما تميل إليه نفسه، ولا يرى ما يرى غيره وإن كان ظاهراً للعيان لا يمكن جحوده، وبالتالى فأحكامه لا يمكن أن تكون وفق مقتضى الحكمة والصواب.

٢- يقطع النسيج الاجتماعى، ويوسع الخلاف، ويقلل فرص التوصل لحلول ناجعة.

٣- يُحرض على لىِّ أعناق الحقائق ويزيِّف الواقع، ويحرمنا من التوصل للقرار السليم، ويجر إلى الخطأ في تقييم الأفراد وأطراف المجتمع.

٤- يُفسد الوصول إلى الحق وإلى نتائج البحث العلمى الرصين، ويوصل إلى نتائج غير دقيقة، ويَحرم الأفراد والمجتمع من التقدم والرقى.

٥- يذكى النزاعات ويطيل الخلاف والشقاق، مما يسهم في زيادة حدة التوتر والقلق.

حكم التعصب في الإسلام:

التعصب لا يهدي الإنسان إلى سواء السبيل؛ لأنه يغلق عليه منافذ المعرفة والوصول إلى علوم الآخرين ومعارفهم، واكتساب الحكمة أنَّى كان مصدرها ومنبعها، فالذي لا يستمع القولَ لا يتَّبع أحسنَه؛ كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقد جاء الإسلام ليحارب كل أشكال التعصب والانغلاق، فكل بنى آدم مكرّم كما قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم

مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال النبي ﷺ في ذَمِّ مَن يتعصب لغير الحق - وهو الإسلام - بالدعوة أو القتال: «**مَن قاتَل تحت راية عُمِّية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتلته جاهلية**»[(١)]، فالتعصب لغير الحق مذموم؛ لأنه من الهوى، واللهُ تبارك وتعالى قال عن الهوى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

التحزب الطائفي:

الحزب: الطائفة من الناس هواهم واحد؛ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢]، وحازبوا وتحزبوا: صاروا أحزابًا وطوائف[(٢)]. فالداعُون إلى التحزب الطائفي؛ يسعَون لتحقيقه بالتحزب السياسي القائم على أيديولوجية إقصاء الآخر لتحقيق أهداف التحزب الطائفي، استناداً إلى قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة».

وبما أن العالم اليوم يشهد توجهًا شديداً نحو الديمقراطية ويعتبرها أحد أفضل أنظمة سياسة المجتمعات، فإن الأحزاب السياسية النابعة عن أفكار تحزبية طائفية، تستغل مفهوم الديمقراطية لتحقيق أهدافها، وعليه فإن الديمقراطية أصبحت بذلك سيفًا ذا حدين، ويشهد على ذلك قول الفيلسوف اليوناني سقراط: (الديمقراطية ستدفع الثمنَ لأنها ستحاول إرضاءَ الجميع) وصدق سقراط؛ فالفقراء سيطمعون في أموال الأثرياء والديمقراطية سوف

---

(١) صحيح؛ أخرجه ابن ماجه في سننه.

(٢) انظر الأساس؛ للزمخشري.

تعطيهم ذلك، والشباب سيريدون أن يصبحوا محترمين مثل الكبار، والنساء سيُرِدْنَ أن يصبحن مثل الرجال، والغرباء سيطمعون بحقوق المواطنين، والديمقراطية سوف تعطيهم ذلك، واللصوص والمحتالون سيسعون للوصول إلى المناصب الحكومية الرفيعة، والديمقراطية سوف تعطيهم ذلك، وعندما يستولي اللصوص والمحتالون على الحكم، ولأن العُصاةَ والمجرمين يركضون وراء السلطة؛ سينتشر الاضطهاد في صورةٍ أسوأَ من الاضطهاد تحت حكم الملوك والأقليات، وبِناءً عليه؛ فإن الديمقراطية إذا أُسيئَ استغلالهُا فستأتي بالشر على المجتمعات البشرية، وإذا أُحسن استغلالهُا على أساس مبدأ الشورى الذي حدده القرآن الكريم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] فإنها قد تريح الشعوب.

وتأكيداً على ذلك، أكتفي هنا بذِكر حِلف الفضول، وهو حِلف أو معاهدة تعاقدَت عليها قبائل مكة لنصرة المظلوم والدفاع عنه والأخذ على يد الظالم حتى يرد الحق إلى من ظلمه، وقد شهد النبي ﷺ هذا الحلفَ عندما كان شاباً، وذكره مرة بعد النبوة فقال: «لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جُدعان - المكان الذي عُقد فيه الحِلف - حِلفاً ما يَسُرُّني أن لي به حُمْرُ النَّعَم»، وهذا دليل على احترام النبي ﷺ لهذا الحلف الذي كفل العدلَ ورفع الظلمَ عن أهل مكة، ومعروف أن مكة لم تكن مجتمعاً مسلماً في ذلك الوقت، وهذا دليل على ضرورة أن يعمل المسلمون المقيمون في دارٍ غير إسلامية على تحقيق العدل ودولة القانون حيثُما وُجدوا بما فيه خدمة البشر؛ مسلمين وغير مسلمين، ويجب على المسلمين أينما كانوا؛ أن يفهموا النظم السياسية القائمة على العدل، وأن يَبذُلوا الجهودَ للإسهام في سَن القوانين العادلة والالتزام بها والتشجيع على تطبيقها، بدلاً من أن يعيشوا في عزلة متقوقعين داخل أحزاب

تقوم على التحزب الطائفي، ومن البدهي أنه لا يوجد نظامُ حُكمٍ بلغ من الكمال درجةً لا يحتاج معها إلى التطوير والتحسين، حيث إنه جهد بشري يخضع دائماً للخطأ، لذا أكرمَنا الله بالقرآن والسنة؛ رحمةً منه لكي نهتدي بهما في تصحيح الأخطاء وتقويم المنهج، على أسس تعاليم الإسلام الذي يعلو ولا يُعلى عليه.

الخاتمة

تبيَّن لنا أن المذهبية والطائفية ضد تعاليم العقيدة الإسلامية الصحيحة والإيمان الصادق، فهُما نتيجة لأهواء الإنسان ومطامعه، فيغلب عليه الفساد فلا يدرك مصلحته ولا يميز بين الطيب والخبيث، والخير والشر، لذا يحتاج الإنسان إلى توجيهٍ إلهي؛ وإحساس بالمسؤولية أمام الخالق أولاً، ثم أمام البشر، وكلما ابتعد الإنسان عن الوحي الإلهي؛ ضل الطريق وضيَّق على نفسه وحبِط عملُه، وكلما أسلم نفسَه لله اهتدى ووسِع صدرُه وصَلَح عملُه، وصار أُسوةً يقتدي به الآخرون، لذا يجب علينا مواجهة التعصب المذهبي والتحزب الطائفي؛ وأن نتذكر قولَه تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ لأنه ﷺ نبيُّ الرحمة والتسامح؛ ولم يكن نبيَّ التعصب والتحزب، كان خُلُقه القرآن، ووردت فيه هذه الموعظة الإلهيّة الأبديّة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].